

الأوضاع الاقتصادية في العهد الصفوي المتأخر (١٦٢٩ - ١٧٢٢م)

م.د. بشرى إبراهيم سلمان(*)

مقدمة

المحور الثاني عنوان: نبذة عن شأته فترة الضعف والانحلال، وعرض المحور الثالث: الأوضاع الاقتصادية الصفوية للمدة (١٦٢٩-١٧٢٢م)، وشمل الجانب الزراعي والثروة الحيوانية والجانب الصناعي، فضلاً عن الجانب التجاري، في حين تطرّق المحور الرابع إلى موارد وممتلكات الشاهات للمدة (١٦٢٩-١٧٢٢م) من النقود، الضرائب، الأملاك والعائدات، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات.

أولاً: الأوضاع الاقتصادية في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٧-١٦٢٩م)

اهتم الشاه عباس الأول^(١) بتنمية الحياة الاقتصادية الصفوية؛ نظراً لما حقّقه من ازدهار وتوفير الأموال اللازمة لإنفاقها في مجالات متعدّدة تصب في مصلحة البلاد، إذ لم يكن هناك فصل بين الميزانية العامة والميزانية الخاصة بالشاه فكانت

أسهمت العديد من العوامل الاقتصادية والسياسية في تراجع وتدهور الحكم الصفوي في البلاد، بصورة أدّت إلى تعرضها إلى الغزو الأفغاني الذي أثبت عجز القوى الاقتصادية والمؤسسات السياسية عن الوقوف ضدّ التحديات الخارجية والأطماع الأجنبية، إلى جانب عجز المنظومة السياسية في اختيار الحاكم الأنسب، وانفراط عقد المؤسسات إلى الحدّ الذي وقف البعض منهم متفرجاً، إزاء ما يحدث على الساحة السياسية الصفوية، وانعكاسها السلبي على الأوضاع الاقتصادية للبلاد.

قسّم البحث إلى مقدمة وأربعة محاور وخاتمة، جاء المحور الأول بعنوان: الأوضاع الاقتصادية في عهد الشاه عباس الأول للمدة (١٥٨٧-١٦٢٩م)، وتضمّن بيان الأوضاع الاقتصادية والتي شملت النشاط التجاري والزراعي والصناعي، وحمل

(*) كلية الرشيد الجامعة / بغداد. Dr.bushra@alrasheedcol.edu.iq

واحدة، وكان الشاه هو المتحكّم والمتصرف في توجيه مواردها المختلفة حسب ما كانت تقتضيه المصلحة، وقد تعددت مصادر تمويل هذه الميزانية، ومنها^(٢):

١. الرسوم المفروضة على الأراضي الزراعية، فضلاً عن ما صرفه الشاه على حُكّام الولايات من نسبٍ على إنتاجهم الزراعي والحيواني، فمثلاً كانت كردستان مُلزَمة بتوريد جزء من زيوتها إلى العاصمة أصفهان، وفرض على كرجستان توريد عددٍ من الغلمان والجواري، في حين كانت خوزستان تُرسل الخيول العربية، أمّا جيلان المشهورة بجودة الحرير فقد فرض عليها أن تُقدّم له جزءاً من إنتاجها للحرير.

٢. عوائد الأملاك الخاصة بالشاه والتي سُمّيت بـ(الخارطة)، فإنّ وارد هذه الأملاك كان منتج أفضل وأخصب الأراضي التي وجدت في أنحاء الدولة الصفوية، وهذه العوائد كانت ناشئة عن الأملاك الموروثة وتصل مباشرة إلى الخزانة السلطانية وتمّ إنفاقها للبلاط، كما ويكون ثلث محصول الأراضي من حقّ الشاه.

٣. الضرائب على ذوي الدخول المرتفعة والمُلاك من أصحاب قطعان الماشية، والضرائب المفروضة على القطن ومنتجاتي الحرير وعوائد المعادن والأحجار الكريمة.

٤. الجزية المفروضة على غير المسلمين، مثل: الشركس والأرمن والكرج وغيرهم.

٥. موارد الكمارك في الموانئ الصفوية المُطلّة على الخليج، وكانت تُعادل عشرة بالمائة من أثمان الواردات في البلاد.

٦. ضريبة التبغ والتي كانت تُدرّ مبالغ كبيرة على الخزانة العامة، إذ كان استهلاك التبغ منتشرًا بين الأهالي بشكل واسع، ممّا أثار مخاوف الشاه على الصّحة العامة للأهالي، فأصدر في العام ١٦١٨م قراراً يقضي بتحريمه، إلّا أنّه انتشر مجدداً عقب وفاته، وقد بلغ الدخل اليومي للخزانة نحو ألف ومائتي تومان، في حين كان إجمالي الإنفاق يصل حوالي ألف تومان، ممّا ولّد فائضاً كبيراً، استثماره الشاه في إحداث نهضةٍ عمرانية في أصفهان وغيرها من المدن الصفوية.

النشاط التجاري

حرص الشاه عباس الأول على الانفتاح التجاري على الشرق، الصين، الهند، والغرب مع الدول الأوروبية، وجعل العاصمة أصفهان مركزاً تجارياً عالمياً ورئيسياً للتجارة الشرقية، يقصدها التجار من جميع أنحاء العالم، فشجّع التجارة ودعا تجار العالم لزيارة الدولة الصفوية، وسهّل لهم سُبُل الإقامة وقَدّم لهم مجموعة من الضمانات، التي من بينها^(٣):

١. منع حُكّام الأقاليم من التعرض لهم، والسّماح لهم بحرية التنقل في عموم المدن الصفوية.

٢. السّماح للتجار الأجانب بممارسة عاداتهم وتقاليدهم من دون إلزامهم بمرعاة العادات والتقاليد الصفوية.

٣. تخدير رجال الدين ولاسيما المتشددين منهم بعدم التعرض للتجّار الأجانب، وفسح المجال لممارسة معتقداتهم الدينية.

٤. رُكِّزت بعثاته إلى أوروبا في التفاوض على الصعيدين السياسي والتجاري، إذ كان الإنكليز يشترطون تحرير الصفوي من حلب بأسعار مرتفعة، إلّا أنّ اتصّاهم التجاري المباشر بالدولة الصفوية مكّنهم من شرائه بنصف ثمنه، فضلاً عن بيع الصوف الإنكليزي في أسواق الدولة الصفوية وشراء الحرير بثمنه.

٥. تطلّب تسيير سُبُل التجارة، تمهيد الطُرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية وتعييدها وتحقيق الأمن فيها، فأنشأت الخانات على طول الطُرق التجارية، لتقديم الخدمات للتجّار والمسافرين من طعام وجياد وأماكن للمبيت، وزوّدها بالحاميات العسكرية والحراسة المُشدّدة، وسير دورياتٍ متنقّلة لتأمين القوافل ضدّ قُطّاع الطرق، وألزم المدن بتعويض أيّ تاجر سُرقت منه بضاعته، كما بلغت عدد الخانات التي بُنيت في المدن الصفوية الواقعة على الطُرق التجارية نحو ألف خانٍ، يتّسع الواحد منها لمئات المسافرين مع دوابهم وحمولاتهم ولم يؤخذ عنها أيّ ثمن.

٦. كان اهتمام الشاه عباس الأول بالموانئ المُطلّة على الخليج العربي، فبنى ميناء بندر عباس ليحلّ محل ميناء كمرون الذي فقد أهميته بعد طرد البرتغاليين منه.

هذا وكانت قد ازدهرت الموانئ في عهد الشاه عباس الأول، وأقامت الشركات التجارية

الأجنبية فيها دوراً تجارية لها، ومن هذه الشركات شركة الهند الشرقية الإنكليزية، وشركة الهند الشرقية الهولندية، وارتبطت الدولة الصفوية بعلاقات تجارية مهمة مع الدول الأوروبية، ولاسيما مع البرتغاليين الذين أولوا اهتمامهم بالبلاد، كونها تُعد نقطة لمراقبة الطُرق البحرية والتي كانت تمتد وصولاً لشبه القارة الهندية^(٤)، وشجّع الشاه عباس شركة الهند الشرقية الإنكليزية على التجارة مع بلاده، ومنحها امتيازاتٍ وتسهيلاتٍ تجارية، منها حقّ احتكار تصدير الحرير من الموانئ الصفوية، وحقّ إقامة وكالةٍ تجارية لها في (جاسك) على الساحل في خليج عُمان، وعقب سيطرة الشاه عباس الأول على جزيرة هرمز سمح لمندوبي شركة الهند الشرقية الإنكليزية شراء أيّ كمية من الحرير، من أيّ منطقة في بلاده وتصديره منها دون دفع أيّة رسوم^(٥)، وعلى صعيد متصل أدّت المنافسة البرتغالية للإنكليز إلى توثيق التحالف بين الشركة الإنكليزية والشاه عباس الأول، ورَحَّبَت وكالة الشركة في (سورات) بالتبادل التجاري، وما يتبع ذلك من فوائد اقتصادية وحاجتها المُلحّة لأسواقٍ لبيع أقمشتها الصفوية، إذ تعود أهمية ميناء بندر عباس إلى اتصّاله بالطُرق البرية مع شیراز وغيرها من المدن الداخلية الصفوية، لذا كان الإنكليز والهولنديون والفرنسيون قد أقاموا وكالاتهم التجارية فيها، وقد برهنت الشحنات التجارية الأولى التي أرسلتها شركة الهند الشرقية الإنكليزية على أهمية الأسواق لاستيعاب البضائع الإنكليزية الفائضة في الهند ومقايضتها بالحرير الصفوي^(٦)، هذا إلى جانب حرص الشاه عباس على إثارة المنافسة التجارية بين شركة الهند الشرقية الهولندية التي استقرت في بندر عباس عام ١٦٢٣ م، وبين شركة الهند الشرقية الإنكليزية

بغية رفع أسعار الحرير الصفوي وتحقيق مكاسب اقتصادية من الشركات المتنافسة^(٧)، وقد اعتمدت التجارة الصفوية بشكل رئيس على مادة الحرير إذ اشتهرت المدن الصفوية بإنتاجه، واحتكر الشاه عباس الأول هذه التجارة لذاته نتيجة لما تدره من أرباح فكان يُشرف على عمليات تسويقه ويحرص على تصديره عبر موانئ الخليج بفعل مُعاداته للدولة العثمانية، والتي تمر طرق التجارة عبر أراضيها لاسيما في العراق والشام، ولكثرة الحروب مع العثمانيين وعدم رغبته في دفع رسوم العبور على اعتبارها دولة معادية، لذا فإن الحرير الصفوي أصبح يُرسل إلى ميناء هرمز في جنوبي الخليج، وتُحمّله السفن الأوربية إمّا إلى الهند أو إلى أوروبا عبر طريق رأس الرجاء الصالح، فضلاً عن الطريق البرّي الذي كانت تسلكه القوافل التجارية عبر الأراضي الروسية ومنها إلى أوروبا. نتيجة لما تقدم أصبحت المدن الصفوية في عهد الشاه عباس الأول ولاسيما أصفهان تعجّ بالتجار الأجانب من أنحاء العالم، ولاسيما بعد أن أمر الشاه الآلاف من التجّار والصنّاع بالانتقال إلى أصفهان والعمل فيها، ممّا ولّد للبلاد ازدهاراً اقتصادياً لم تشهد له مثيلاً^(٨).

النشاط الزراعي

وفيما تعلّق بالنشاط الزراعي، فقد كانت الأراضي الزراعية مقسّمة في عهد الشاه عباس الأول على أربعة أقسام، هي^(٩):

١. أراضي الولايات التي أشرف عليها حُكّام الأقاليم، وشغلت القسم الأكبر من الأراضي الزراعية.
٢. الأملاك الخاصة بالشاه عباس، وكان ريعها

يعود إلى خزائنه الخاصة.

٣. أراضي الأوقاف الخيرية والتي أوقفها أصحابها على المؤسسات الدينية.

٤. أراضي عامّة الشعب والتي كان الشاه عباس يمنحها للسكّان على شكل إيجار رمزي مدّته تسع وتسعون عاماً، وكانت تعود عَقِب انتهاء المدّة إلى حاكم الإقليم، ونسبة هذه الأراضي ضئيلة، وبذلك فإنّ الفلاحين في عهد الشاه عباس الأول كانوا قد حرّموا من ملكية الأراضي التي يزرعوها، إلّا أنّ الشاه كان يمنح الفقراء الأراضي والماشية، ويوقف جزء من أراضيهم لصالحهم، كما وكان عدد العاملين في الزراعة يفوق عدد العاملين في المهّن الأخرى، ويُلاحظ من هذا التقسيم للأراضي أنّ الشاه كان يملك مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية وكان يضمّ أراضي إلى ملكيته الخاصة، لاسيما بعد أن تخلّص من قادة القزلباش وضَمّ أراضيهم إلى أملاكه، وكان السائح الفرنسي جان شاردان -Jean Baptiste Chardin (١٦٤٣-١٧١٣م) قد ذكر أنّ الفلاحين على الرغم من حرمانهم من ملكية الأراضي التي يزرعوها إلّا أنّهم كانوا في عهد الشاه عباس الأول يعيشون حياة راغدة تفوق معيشة أقرانهم في أوروبا.

النشاط الصناعي

تأتي صناعة الأسلحة النارية في مقدمة الصناعات في عهد الدولة الصفوية، ولاسيما في أيام الشاه عباس الأول من حيث الأهمية، إذ استثمر الشاه عباس وجود البعثة الإنكليزية في

ببلادِهِ وتباحث معهم حول تطوير قواتهِ المُسلَّحة، فأشاروا عليه بإنشاء مصنع حديث لإنتاج الأسلحة وأعربوا عن استعدادهم للمُساعدة في إنجاح المشروع، فتمَّ الاتفاق وزوَّد جيشه بـ(٦٠,٠٠٠) بنديقة حديثة و (٥٠٠) عربية مدفع، وقد ساعدته هذه التجهيزات من الأسلحة في التصديّ للدولة العثمانية، وتحقيق الانتصار عليها، إذ تمكَّن من طردهم من تبريز عام ١٦٠٣م، ومن استرداد (إربفان)، (شروان)، فأرسل العثمانيون جيشاً قوامه (١٠٠,٠٠٠) مقاتل، تمكَّن الشاه عباس الأول من طردهم بـ(٦٠,٠٠٠) مقاتل عام ١٦٠٥م، ليستردَّ بعد ذلك أذربيجان وكردستان، حتَّى تمكَّن من الاستيلاء على بغداد عام ١٦٢٣م، عَيَّب حصارٍ دام ثلاثة أشهر اضطر الأهالي لأكل لحوم الحمير^(١١)، وبلغت قيمة الحمار ألف أقة^(١٢).

كما لم يغيب عن فكر الشاه آنذاك الاهتمام بمقومات ازدهار الفنون والآداب، حتَّى قيل إنَّ عهده لم يُضاهيه عهدٌ آخر من العهود الحديثة في تاريخ الدولة الصفوية، لاسيَّما وأنَّه كان شغوفاً بالبناء وفنون الزخرفة الهندسية، إذ أسَّس في العاصمة أصفهان مدرسة للرسم، وكان يُطلب من الطلَّاب أن ينسخوا أشهر المنمنمات، إذ يغلب عليها جمال التصميم ودقَّة الرسم على الموضوعات والأشخاص، مثل لوحة لمدرب الباز وشاعر يجلس في الحديقة، كما أنَّ هناك طريقةً أخرى للرسم على الجدران، كما وقد برز التخصص في زخرفة القرآن الكريم، وفي تذهيب الآثار الأدبية القديمة، مثل: الشاهنامه *Shahnameh* للفردوسي (٩٣٥-١٠٢٠م)، وكستان *Golestan* السَّعدي (١٢١٠-١٢٩١م) والتي ذهبها حسن البغدادي

بهاء الذهب، وتفوق رضا العباسي في الرسم بتلك المرحلة، كما وبقي الخط فناً رئيساً في عهد الشاه عباس الأول وحظي مير عماد بعناية فائقة من قبل الشاه عباس بفضل نسخته الدقيق للمخطوطات القديمة^(١٢).

اشتهرت المدن الصفوية بصناعة الأواني الخزفية المُحلَّاة بالرسوم، واستمر الخزَّافون في مدن أصفهان وقاشان يُبدعون أشكالاً من الخزف، أمثال: القناني، الأباريق، الأطباق، الفناجين. وأضحى الخزف المزخرف الفسيفسائي مادةً لتغطية الجدران في المساجد والقصور، وازدهرت صناعة النسيج في عهد الشاه عباس الأول وشغل الرِّسَّامون والنسَّاجون والصبَّاغون حيزاً كبيراً في أصفهان، وكانوا يُعدُّون بالآلاف وأصبح إنتاجهم السلعة الرئيسة في تجارة الصادرات، واختصت مصانع العاصمة بإنتاج المنسوجات التي كان الشاه يُهدىها إلى ملوك أوروبا وكبار دولته، ممَّا أدى إلى خلق منافسة بين مصانع العاصمة الصفوية لتقديم الأفضل والأجود، كما كانت ملابس الشاه من الحرير والأقمشة المقصَّبة والمطرزة، هذا إلى جانب إنشاء الشاه عباس الأول مشغلاً خاصاً يتولَّى إدخال الخيوط الذهبية والفضية والحريرية في صناعة السجَّاد، وتمَّ صناعة سجَّاد من الحرير الخالص لقصوره الخاصة أو لتقديمها إلى ملوك أوروبا، فقد أحرز شهرةً واسعة حتَّى أنَّ أحد ملوك بولندا المعاصرين للشاه عباس الأول أرسل التجَّار لشراء السجَّاد الحريري الصفوي ليُزيِّن بها قصره^(١٣)، فضلاً عن الاهتمام بصناعة الزجاج والأواني الفخارية، واستدعى لبلادِهِ العَمَّال والمهرة في صناعة الزجاج، وأشرفوا على إقامة مصانع لإنتاجه في مدن شيراز، وأصفهان، وكاشان،

وسبق أن تعامل مع أمهر المحترفين الصينيين في مجال صناعة الفخار، وعهد إليهم بمهمة الارتقاء بهذه الصناعة في دولته، وتَم تدريب العمّال الصفويين على مختلف الصناعات، ممّا ساعد على ارتقاء طبقة الصناعيين والحرفيين وازدياد الدخل المالي، فشكّلوا نقاباتٍ حرفية تتولّى مهمة الحفاظ على حقوقهم والدفاع عن مصالحهم^(١٤).

ثانياً: نبذة عن شاهات فترة الضعف والانحلال

تولّى خلال المدّة موضوعة البحث أربعة شاهات للدولة الصفوية، جاءوا تباعاً ولم تُسجّل أيّة مشكلاتٍ أو اضطراباتٍ في كيفية تسنّمهم العرش الصفوي، وهم كلّ من:

الشاه صفي (١٦٢٩-١٦٤٢م): هو سام ميرزا بن صفي ميرزا بن الشاه عباس الأول، قُتل والده بأمرٍ من الشاه عباس الأول الذي أوصى قبل وفاته بتعيين حفيده سام ميرزا خلفاً له، فجلس الشاه الجديد على العرش الصفوي في يوم الاثنين الموافق الرابع عشر من شباط ١٦٢٩م وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره، ولقّب نفسه بـ(شاه صفي) إحياءً لذكرى والده، إذ أوجدت قضية مقتل والده من قبل جدّه الشاه عباس الأول عقدةً نفسيةً لدى الشاه صفي ترسّخت في أعماقه، وأفرزت طاقةً سلبية انعكست على معاملته لأفراد أسرته، فسار على سياسة جدّه بقتله عدداً من أبنائه وسمل أعينهم^(١٥).

الجدير بالذكر أنّ الشاه صفي وخلال مدّة حكمه لم يُثبت أيّ جدارةٍ في إدارته للحكم، وتميّز عهده بالفساد والظلم وانتهاك الحرمات، طيلة مدّة حكمه وبالبلغة أربعة عشر عاماً، ولم ترَ بلاده سوى

حكماً تعسفياً قاسياً ودموياً، إذ كان قد قتل معظم أفراد أسرته، ومنهم عمّيه السجينين (مُحمّد ميرزا وإمام قلي) بعد أن سمل عيونهما، إلى جانب عددٍ من القادة والأمراء والحكّام والمستشارين البارزين، أمثال إمام قلي خان الذي قاوم البرتغاليين في جزيرة هرمز مع أبنائه الثلاثة في مدينة أصفهان^(١٦).

ولم تشهد دولته أيّ تطورٍ علماني أو استقرارٍ سياسي، وظلّ الشاه بعيداً عن التعليم والاهتمامات الثقافية وفنون القتال والفروسية، ولم يمتلك مؤهلات إدارة الحكم، وانشغل بشرب الخمر وارتكاب المُفَسّدات، نتيجةً لذلك سارت دولته نحو الانهيار، ولم يُقدّر للشاه صفي أن يحكم طويلاً إذ توفّي وهو لم يتجاوز الحادية والثلاثين من عمره بسبب إفراطه في شرب الخمر، كما قيل بأنّه مات مسموماً ودُفن بمدينة (قم) في الثاني عشر من أيار ١٦٤٢م^(١٧).

الشاه عباس الثاني (١٦٤٢-١٦٦٦م): عَقِب وفاة الشاه صفي، تولّى عرش السلطنة ابنه عباس المُلقَّب بـ(عباس الثاني) وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره عام ١٦٤٢م، ونتيجةً لصغر سنّه سيطر الأمراء والأعيان ورؤساء القزلباشية، وأصبح ميرزا تقي - اعتماد الدولة صدرًا أعظم للشاه وقبض زمام الأمور بيده، فنارت ثائرة بقية الأمراء، ممّا اضطّر الشاه عباس الثاني في نهاية المطاف بإعدام اعتماد الدولة^(١٨)، وببلوغ الشاه الجديد سنّ الرشد مسك بزمام الأمور وإدارة الدولة، من دون أخذ رأي الوزراء وأعيان البلاد، فأثبت جدارته السياسية أثناء مدّة حكمه، وعُدَّ شاهاً شجاعاً ذا عزم وإرادة رغم الإفراط بشرب الخمر، فكانت تصدر منه أحكام وقرارات جائرة في حالة سكره، بعيدةً كلّ البعد عن العلاقات الإنسانية^(١٩).

من اتخاذ القرارات بمفرده، إذ كان ضعيف الإرادة حتى استغل رجال حاشيته (خوارج السرايا) هذا الضعف، وصاروا هم أصحاب الاختيار الحقيقي، وأصبح قرار العزل والتنصيب لمقامات الدولة السياسية والعسكرية، وحتى أحكام الموت أو الإعفاء منه بأيديهم، ولم يُسمح بإجراء أي أمر إلا بموافقتهم فلم يبق للشاه سوى الاسم^(٢٤).

شهد عهد الشاه ارتفاع نسبة الضرائب المفروضة على الأهالي، وشدّد الجبّة في استحصالها في الوقت الذي انشغل فيه الشاه بملذّاته الشخصية، وعدم مبالاة بشؤون الحكم، فأصبحت البلاد نتيجة لذلك عرضة للغزو الخارجي المتمثل بالغزو الأفغاني، فتمكّنوا من الاستيلاء على أصفهان عام ١٧٢٢م، بعد أن دخل مير محمود الأفغاني أحد قصور الشاه سلطان حسين في فرج آباد، الذي تنازل له عن العرش وقدّم له التاج بنفسه، فتوجّج مير محمود شاهاً على البلاد في الثاني والعشرين من تشرين الأول ١٧٢٢م، لينتهي بذلك فعلياً حكم الأسرة الصفوية، وأعدم الشاه سلطان حسين من قبل الأفغان عام ١٧٢٦م^(٢٥).

تمتعت الدولة الصفوية إبان حكم الشاه عباس الثاني باستقرارٍ نسبي، إذ لم يشهد عهده مواجهاتٍ حربية مع الدولة العثمانية، ممّا دفعه للعمل على توسيع مُلكه وسلطانه، ففتح قندهار عام ١٦٤٨م بعد أن خسرتها الدولة الصفوية أيام الشاه صفي، كما قام ببناء سور مدينة بندر عباس عام ١٦٥٠م، ونجح في إخضاع ثورة قام بها الكرج عام ١٦٥٩م^(٢٦). توفي الشاه عباس الثاني في الرابع والعشرين من ربيع الأول ١٠٧٧هـ، في قصر خسرو آباد في دامغان، بعد حكم دام خمسة وعشرين عاماً^(٢٧).

الشاه سليمان (١٦٦٦-١٦٩٤م): خلف والده الشاه عباس الثاني، لقّب في البداية بالشاه (صفّي الثاني)، ثم لقّب بالشاه (سليمان) بناءً على توصية أصدرها منجميه بغية الاحتراز من نحس الأوضاع الفلكية حسب معتقداتهم، عُرف عنه بأنّه شخصية ضعيفة وقع تحت تأثير الأمراء والمستشارين، وساد في عهده التدهور والانحلال، ومال لمخالطة النساء والحريم، فأهمل الشؤون العامة وأصبح مدمناً للخمر، إذ شهد عهده تدخل الحريم والأمراء والأعيان في شؤون الحكم، وهو ما شجّع الأوزبك للهجوم على شمالي البلاد وخراسان، وقد توفي الشاه سليمان عام ١٦٩٤م إثر إصابته بمرض عضال، فأعقبه ابنه سلطان حسين^(٢٨).

الشاه سلطان حسين (١٦٩٤-١٧٢٢م): ارتقى العرش الصفوي عام ١٦٩٤م، وكان عمره آنذاك ستة وعشرين عاماً، تميّز بضعفه وعدم قدرته على تصريف الأمور السياسية، ترعرع مثل والده بين الحريم، ولم يكن يعلم عن السياسة وإدارة الحكم في عهده شيء، فأوكل شؤون البلاد إلى رجال الدين^(٢٩)، إذ لم يتمكّن الشاه سلطان حسين

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية الصفوية للمدة (١٦٢٩-١٧٢٢م)

الجانب الزراعي والثروة الحيوانية

تتميز الهضبة^(*)، بوجود أشكال تضاريسية ومناخية متباينة من سهول وهضاب وصحاري وجبال، ممّا جعل الموارد الزراعية الصفوية متنوعة، إذ خضعت الزراعة لعاملي المناخ، وتوفر المياه في بلادٍ سيطرت الصحراء على جزءٍ كبير من وسطها، وأحاطت الجبال بالعديد من سهولها، عُرفت فيها الزراعات البعلية مثل الحبوب والزراعات الإروائية التي تستخدم الرّي في سقيتها، فانتعشت الزراعة في العهد الصفوي، وانعكس ذلك زيادةً في مردود الخراج على خزينة الدولة^(٢٦).

تأثر الفلاح في العهد الصفوي بالعوامل المناخية وتوفر المياه، فتنوعت المحاصيل الزراعية إذ شكّل القمح والشعير الغلّتين الرئيسيتين، وكان الأرز المحصول الأول، وكان يُزرع على نطاقٍ محدود بجوار أصفهان، وسادت زراعة قصب السكر في خوزستان، كما زُرعت أشجار الفاكهة والكرمة والتين والنخيل والزيتون والحمضيات، وأخذت المحاصيل الزراعية تُصدّر، مثل: التمور

(*) تُشكل التضاريس في البلاد الصفوية في أغلبها من الهضبة الصفوية، والتي تمتد بين هضبي أرمينيا غرباً وبامير شرقاً، وتُمثّل مثلثاً ينحصر بين منخفضين: الخليج العربي من الجنوب وبحر قزوين وسهل التركمان من الشمال، كما ويغلب عليها الطابع الجبلي. للمزيد، يُنظر: عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٨-١٦٢٩م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجزائر، جامعة حمه لخضر الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠١٥م، ص ٢.

من عربستان وسيستان وكرمان، والرّمّان من يزد وشيراز، والبرقال من مازندران، والبصل من خراسان، كما كانت تُزرع أشجار الحمضيات والتوت بشكلٍ كبير، أمّا زراعة الخشخاش والقنب الهندي (الحشيش) فأخذت تزدهر في تلك المدة، وخلال عام ١٦٧٠م كانت زراعة التبناك منتشرةً بشكلٍ واسع في مختلف المناطق، ويمكن الحصول على أجودها في عربستان وهمدان وكرمان وخراسان، كما كان العنب من النوعيات الممتازة إذ دخل في صناعة الخمر، التي كان اليهود والأرمن يقومون بصناعتها وتستهلك في البلاط الشاهي^(٢٧).

أصبحت منطقة نجف آباد القريبة من أصفهان مركزاً لزراعة الفاكهة، إذ كان يُزرع فيها الكروم والبطيخ واللوز والسفرجل ونوع من المشمش يُسمّى (تخم شمش)، أي بيض الشمس بكمياتٍ كبيرة في أصفهان، أمّا البطيخ فينتشر بكمياتٍ وفيرة وبأكثر من عشرين صنفاً مختلفاً، فهناك صنف من البطيخ لا يصلح للأكل، ولا يزيد حجمه عن حجم البرتقال، وقشره ملوّن بخطوطٍ صفراء وحمراء، غير أنّه يمتاز برائحةٍ زكية تجعل حامله كحامل الورد^(٢٨)، كما زُرعت نباتات القطن لتربية دودة القز، والتي انتشرت بشكلٍ واسع حول يزد في خراسان وفي منطقة جيلان، إذ شهد القرن السابع عشر طفرةً نوعية في تربية دودة القز، ووصلت أعلى مستويات الإنتاج، وأصبح هناك فائضاً من الحرير، أخذ يُصدّر بكمياتٍ كبيرة إلى الخارج^(٢٩).

وفيما تعلّق بالثروة الحيوانية فقد شهد العهد الصفوي ثروةً حيوانية ضخمة من أغنام وماعز وجمال، وذلك بحكم طبيعتها الجغرافية، إذ كان

الهدف الأساس من الرعي توفير وتأمين الحاجات الأساسية لمعيشة السكّان، كونها توفر لهم أهم الحاجات الضرورية من طعام (اللحم، اللبن، الجبن)، وملابس (الصوف والجلد)، ووسائل نقل (الخيول، الجمال، الحمير)، وجرى الاهتمام بتربية أنواع من الطيور (الدجاج، الحمام، البط)، أمّا عن حاجة البلاد من اللحوم فكان القسم الأكبر منها يُسَد من مواشي وقطعان البدو، إذ كانت قطعانهم من الماشية متوفرة في عدّة مناطق، ولكل قبيلة نوعان من المراعي الواسعة، مرعى صيفي (يبلق)، ومرعى شتوي (قيشلق)، وعادةً ما تكون المراعي الصيفية في المرتفعات، بينما المراعي الشتوية في المنخفضات والأودية، هذا وقد لاحظ الرحّالة الفرنسي (شاردن) ضخامة قطعان الماشية، وقدّر المساحة التي تتجمّع فيها هذه القطعان والمواشي بأنّ قطعها يستلزم ثلاث ساعاتٍ على أدنى تقدير^(٣٠)، والملاحظ أنّ الجانب الزراعي والثروة الحيوانية لم تشهد أيّ نشاطٍ أو تطورٍ يُذكر عَقِب وفاة الشاه عباس الأول وحتى سقوط الدولة الصفوية عام ١٧٢٢ م.

الجانب الصناعي

عُدَّ العهد الصفوي في بدايته مسرحاً لعملية التطوير والتجديد في كثيرٍ من الحِرَف والصناعات المختلفة، فقد شهِدَت مدينة أصفهان حركةً معماريةً قلّ نظيرها، فتمَّ بناء قصورٍ كبيرةٍ ومساجدٍ عظيمة، وصُنِع البلّور المنقوش والفسيفساء، وكان ذلك على عهد وأيام الشاه عباس الأول وقبله من شاهات الدولة الصفوية، أمّا من خلف الشاه عباس الأول فيمكن القول إنّ الدولة الصفوية قد شهِدَت عَقِب وفاته انحلالاً اقتصادياً واجتماعياً كبيراً، وهو ما عكس الانحلال والتدهور السياسي

ومثّل نتاجاً طبيعياً له، لاسيّما إذا ما علمنا أنّ الشاه عباس الأول كان قد بذّر بذور الأساس للكارثة التي حلّت بالدولة الصفوية من بعده^(٣١).

وعلى صعيدٍ آخر، نجح الصفويون في أولى عهودهم من الانتقال بمهنة حياكة السجّاد والنسيج من مهنة قروية إلى نشاطٍ ذي طابعٍ عام، أصبح يؤلّف جزءاً مهماً من اقتصاد البلاد، لاسيّما عَقِب تأسيس أول مصنع لحياكة السجّاد في أصفهان أيام الشاه عباس الأول^(٣٢)، وكان هناك ثلاث مجموعاتٍ من المنسوجات الحريرية الصفوية، وهي: منسوجات حريرية سادة، ومنسوجات حريرية موشّاة، ومنسوجات حريرية مخملية، واستُخدمت إمّا في ملابس الأمراء أو النبلاء أو لعمل الستائر والأغطية أو إهداء الشاه لمن يود تكريمه، وقد اشتملت مواضيعها على الموضوعات التي تخص الإنسان ورسوم الحيوانات والطيور والزهور، وأخذت أكثر المناظر والموضوعات من الملاحم مثل الشاهنامه، أو من الأشعار العاطفية كأشعار نظامي الكنجوي (١١٤١-١٢٠٩م)، أو تُزيّن بمناظر تُمثّل الأمراء الصفويين وهم في رحلة الصيد^(٣٣).

عُرِفَت المنسوجات الصفوية في عهد الشاه عباس الأول بتطورها وجودتها، حتّى قدّر من يعمل بسوق النسيج في أصفهان ما يُقارب خمسة وعشرون ألف عامل، أي أنّ عدد المشتغلين بنسيج الحرير كان يفوق عدد المشتغلين في الصناعات الأخرى، إلى جانب أقمشة صوفية كانت غايةً في الجودة، والتي تُصنع من صوف كرمان وتشبه الأقمشة الحريرية، وقيل بأنّ عدد الحياكة كانت تُغطّي المسافة بين ميدان المدينة المركزي ومبنى (جهل ستون)، وقدّرت المسافة بأكثر من خمسمائة

متر^(٣٤)، هذا واشتهرت مدن كرمان، وكاشان، وهمدان بصناعة السجّاد، حتّى أصبح يُعرف تبعاً لمكان إنتاجه، فيقال: إنَّها سجّادة كرمانية أو كاشانية أو همدانية، وكان صانع السجّاد في العهد الصفوي يبدأ تدريبه الفني منذ صغره، ويستغرق الوقت لإنتاج السجّادة الواحدة بين ستة أشهر وستين، أو ربما أكثر تبعاً لحجمها ودقّة نقوشها، وكثرتها أو قلّتها ودرجة امتيازها^(٣٥).

أمّا صناعة الخزف فيمكن أن تُعد مدينة كاشان مركزاً رئيساً في صناعة الخزف، وقد اقتبس اسم (الكاشي) أو (القاشي) من هذه المدينة، على اعتباره نوع من الخزف الصقيل، وكانت أصفهان ومشهد مركزين رئيسيين في صناعة الخزف، ولم يلجأ الخزفيون الأصفهانيون إلى تقليد الخزف الذي كان يُصنع في العهود السابقة، وإنّما أحدثوا عليه تغييراً وتجديداً استخدموا خلالها قوة الخيال والإبداع، ركّزت في موضوعاتها على رسم المناظر الطبيعية ذات الطيور والحيوانات والنباتات بطريقة تعبيرية^(٣٦)، وقد انتظم الصناعيون والحرفيون ضمن تنظيياتٍ حرفية باسم الأصناف والبيوتات، ورأسها المعلّمون الذين يتخبون مثلهم (كدخدا) الذي كان يعمل بالتنسيق مع النقيب على رعاية مصالحهم وحمايتهم من التعدي، كما ويتعاون مع (الكلانتر) المعيّن من قبل الحكومة، إذ لا يُسمح لصاحب العمل بأن يعتدي على الضعفاء من العمّال والصنّاع، وبهذا فإنّ الترتيب حسب الأصناف يكون بالتدرّج بدءاً من شيخ الصنف والكلانتر، فالكدخداء ثمّ المعلّمين وأخيراً العمّال^(٣٧)، وقد تمتّع العمّال والصنّاع الحرفيون بتسلم (جراية) أي راتباً مخصّصاً ويكون عادةً طبقاً من الطعام يكفي لستهة أو سبعة أشخاص، أو يأخذ بدلاً عنها مبلغاً نقدياً

يبلغ عشرين توماناً في السنة، إلى جانب عددٍ من الامتيازات مثل بقائهم في العمل مدى الحياة^(٣٨).

كانت صناعة الساعات إحدى الفنون الغربية الملفّقة للنظر خلال العهد الصفوي، وكان الشاه صفي قد بعث برسالةٍ إلى ملك إنكلترا تشارلز الأول Charles I (١٦٠٠-١٦٤٩م) يسأله فيها أن يُرسل إليه عدداً من أمهر الحرفيين في صناعة المينا والساعات والبنادق. كما أوكل الشاه سليمان إلى أحد المختصين الأوربيين مهمة إعداد مشروعٍ عمراني كبير، يتمثل بشقّ نفق بين جبل (كوه رنك) و (زاینده رود)، إلّا أنّ هذا المشروع لم يتحقّق، بسبب تدخل رجال البلاط في إدارة أمور الدولة بشكلٍ كبير^(٣٩).

الجانب التجاري

أوضحت قضية الحرير التي كانت تُشكّل عماد التجارة الصفوية احتكاراً ملكياً للشاهات الذين خلفوا الشاه عباس الأول في الحكم، فلم يسمحوا لأيّ أحدٍ بأن يُسارَهم فيه بتناً؛ لأنّ أوروبا كانت تستهلك منه أيام حكم الشاه صفي وتحديدًا عام ١٦٣٠م، أكثر من مليون رطل وبلغت تكلفة الرطل الواحد ثمان شلنات، في حين كان يُباع في أوروبا باثنا عشر شلناً، وقد تجاوزت أرباحه أكثر من ذلك في بعض الأحيان، وبحكم تلك الأهمية التي تميّز بها الحرير الصفوي فقد أُطلق على الحرير المار من الدولة الصفوية إلى الصين اسم (طريق الحرير)^(٤٠)، وفي المقابل تعرّضت تجارة الحرير إبّان فترة الضعف والانحلال الصفوي إلى خسائر جسيمة، من جرّاء تعرض محلات الحرير الملكي للسرقة والسلب، وتعرض القوافل التجارية التي كانت تنقله من داخل البلاد إلى الخارج لعمليات

القتل والسلب والنهب، فضلاً عن انعدام مخزون الحرير ممّا أدّى إلى تدهور التجارة، التي كانت تدر الكثير من الأموال لخزينة الدولة، لذا فإنّ ضعف الإدارة وانشغال الشاهات الأربعة (صفي، عباس الثاني، سليمان، سلطان حسين)، وإنفاقهم الأموال على ملذّاتهم الخاصة أدّى إلى أن يحظى الأوروبيون بامتيازات اقتصادية كبيرة، إذ وصلت أعداداً منهم للمدن الصفوية لتحظى برعاية خاصة من قبل الحكّام ورجال الحاشية والبلاط، وانتشرت الرشوة بشكل كبير بين الحكّام والمتنفّذين من أجل الحصول على هذه الامتيازات، حتّى وصلت الرشوة للشاه صفي نفسه، الذي سمح للتجار البريطانيين مزاوله تجارة الحرير، وإمكانية شراء أيّة كمية يريدونها من الحرير وإدخال بضائعهم دون ضرائب، مع رعاية مصالحهم التجارية في مدينتي شیراز وأصفهان، كما سهّل مسألة تجديد الامتيازات بأنّ تحصل بعد وفاة أيّ شاه، فأمر التجديد صحيح من حيث الشكل، أمّا المضمون فلم يُقدم أحد من خلفاء الشاه على إلغاء الامتيازات الأجنبية، إذ جدّد الشاه صفي عام ١٦٢٩م امتيازاً كان قد منحه الشاه عباس الأول عام ١٦١٧م للأوروبيين، بعد أن تعهّدوا للشاه صفي بشراء الحرير بما يُقدّر قيمته عشرون ألف تومان، على أن يدفعوا المبلغ نقداً، كما تبادل الشاه ورجال حاشيته في البلاط وكبار موظّفيه هدايا سنوية من الأقمشة الفاخرة وأدوات المائدة بما قيمته خمسمائة تومانا أو أكثر، وقد أهدى البلاط الملكي إلى وفدٍ قادم من هولشتاين بألمانيا عام ١٦٣٧م أثواباً وقماشاً، ما يزيد عن مائتي قطعة من أفخر أنواع الحرير بما فيه الساتان والدمسقيات^(٤١).

استمر الهولنديون في عهد الشاه صفي بشراء

كميات كبيرة من الحرير الصفوي من مصادره، إلّا أنّ الشاه صفي كان يخشى سطوة الهولنديين حتّى وصل به الحال إلى تبديل كلّ موظّفي الضرائب المرتشين، فعندما تناهى إلى مسامعه أنّ هؤلاء الموظّفين يضغطون على الهولنديين بتحريض من الإنكليز بادروا إلى استبدالهم في كلّ الموائى، ممّا ساعد شركة الهند الشرقية الهولندية على الاستمرار بتجهيز الصفويين بكميات كبيرة من القرفل بقيمة سبعمائة ألف روبية، هذا وقام الهولنديون في عهد الشاه عباس الثاني وتحديدًا في عام ١٦٤٦م، بإجبار الشاه على القبول بأسعارهم التي حدّدها للحرير الصفوي، فوافق الشاه على السعر المعروض، وازداد حجم تعاملهم التجاري أضعاف نظيره مع الإنكليز والبرتغاليين^(٤٢).

وفي سابقة من نوعها ازدهرت التجارة في مطلع عهد الشاه سليمان، وأصبح ميناء بندر عباس يستقبل معظم السفن الهولندية الذاهبة للبحر والقدامية منها، إذ يجدّ التجار كلّ ما يحتاجونه من سلع كالمنسوجات والتوابل والسكر والنحاس والذهب والفضّة، إلّا أنّ التجارة الهولندية قد تراجعت أواخر عهده تدريجيّاً، حتّى بلغت كمية الحرير التي يشترونها إلى ثلاثمائة بالة في العام الواحد بعد أن كانت ستائة على عهد الشاه عباس الثاني، ويرجع ذلك في أساسه للحروب التي خاضها الهولنديون في أوروبا^(٤٣).

أظهر الشاه سلطان حسين ميلاً للإنكليز، فقام بتجديد امتيازاتهم عام ١٦٩٧م، وفقاً للعرف السائد في الدولة الصفوية، كما زار الشاه سلطان حسين مع نسائه المقر الرئيس للتجارة الإنكليزية في أصفهان عام ١٦٩٩م، واستقبله الإنكليز استقبلاً حافلاً، ووضع مخازن الشركة تحت تصرفه، يُعطي

منها ما يشاء لمرافقيه^(٤٤)، وكما هو معلوم أنَّ الدولة الصفوية قد صدّرت إلى أوروبا بضائع متعددة، منها: الأقمشة الذهبية، الأقمشة المنسوجة من حرير جيلان، السجّاد بأنواعه، الصوف، الجلود الناعمة لتجليد الكتب والصناديق، الحصران، سلال مصنوعة من القصب يُصنّعها أهالي سيستان، فضلاً عن جلود الأغنام. أمّا ما استوردته الدولة الصفوية من أوروبا من البضائع والحاجيات، فهي: فرشة الملابس، أقمشة صوفية خفيفة، أقمشة مختلفة، معادن الرصاص، القصدير، الفضة، الساعات الجدارية، الشمعدانات، نصول السيوف، أواني المطبخ، وقطع الكريستال^(٤٥).

رابعاً: موارد وممتلكات الشاهات للمدّة (١٦٢٩-١٧٢٢م)

النقود

سُكّت النقود الذهبية والفضية في العهد الصفوي بأمر الشاه وتحت إشرافه المباشر، باستثناء العملة النحاسية مثل الفلس، فإنّها يُمكن أن تُسكّ في الأقاليم وبإشراف حُكّامها للحيلولة دون الانتفاع الخاص للحكّام من سكّ العملات الذهبية والفضية، إلّا أنَّ العملة النحاسية لم تحمل أسماء حُكّام الولايات إنّما تحمل صورة (إنسان، حيوان، أو طير) وعلى الوجه الثاني أسم العملة ومحلّ وسنة سكّها^(٤٦)، وقد ضربت العملة الصفوية في المدن الرئيسة، مثل: تبريز، أصفهان، قزوین، همدان، كاشان، شیراز، مشهد، أردبیل، وغيرها. وحملت هذه القطع نقوشاً مختلفة إذ كانت النقوش الدينيّة على إحدى الوجوه والنصوص السياسية على الوجه الآخر، أمّا النقش الذي كان سائداً في عهد الحُكّام الصفويين باستثناء عهد الشاه إسماعيل الثاني هو التشهّد (لا إله إلّا الله،

مُحمّد رسول [أو نبي] الله، عليّ ولي الله)، فضلاً عن أسماء الأئمّة المعصومين الاثني عشر (عليهم السلام)، إلى جانب عددٍ من الآيات القرآنية الكريمة، أو عددٍ من الشعارات الدينيّة وأحياناً يكتفون دونها، كما درج الصفويون على كتابة ألقاب شاهاتهم بخطّ النسخ العربي، بوصفه ربطاً بين صفتهم الدينيّة والمذهبية وصفتهم السياسية، ومن هذه الألقاب: السلطان الكامل والعاقل والهادي والولي والغازي في سبيل الله، المظفر شاه إسماعيل بهادر خان الصفوي الحسيني خلد الله مُلكه وسلطانه^(٤٧)، وقد استخدم هذا الشكل الشاه إسماعيل الأول، وابنه طهماسب، وإسماعيل الثاني، ومُحمّد خدابنده، والشاه عباس الأول، في حين استخدم الشاه سلطان حسين عبارة (السلطان ابن السلطان الخاقان ابن الخاقان)، وكانت هذه العبارات تُكتب باللغة العربية كما وكُتبت غيرها، وكان الأشهر من بينها: (غلام إمام مهدي (عليه السلام))، غلام علي بن أبي طالب (عليه السلام)) اللتان استخدمهما الشاه طهماسب الأول وابنه الشاه مُحمّد خدابنده، وعبارة (بنده شاهي ولايت الشاه العبد المؤمن) والتي استخدمها الشاه عباس الأول، وعباس الثاني، وسليمان، وسلطان حسين^(٤٨).

أطلق الصفويون كلمة (زر) والتي تعني (الذهب) على كلّ قطع النقد، وكلمة (سيم) والتي تعني (الفضّة)، وكانوا يميزون العملة الفضية عن العملة الذهبية باستخدام كلمة (درهم) للعملة الفضية وكلمة (دينار) للعملة الذهبية^(٤٩)، أمّا عن أنواع العملات المتداولة والتي كانت على درجة كبيرة من الأهمية خلال العهد الصفوي، فيأتي في مقدمتها: (اشرفي): والذي كان من أبرز العملات الصفوية رواجاً، و (عباسي): والتي

ظهرت مع ازدهار التجارة وتطورها في عهد الشاه عباس الأول، والذي أمر بسكِّ عملة نقدية فضية باسمه تُعادل اثنان محمودي والعباسي يساوي (١/٥٠) من التومان، ووزن العباسي يساوي مثقال واحد وأربع دانة، وبمرور الزمن وتحديدًا في عهد الشاه سلطان حسين تمَّ تقليل وزن العباسي فصار يساوي (٤٠٦) غم، والنوع الثالث من العملة فهو (شاهي)، وهو أصغر قطعة فضية تساوي أربع بنسات ونصف فرنسية ويساوي تسع بنسات عباسي، كما كانت هناك عملة فضية نُسبت لحاكم (لار) وزنها بين (٤٠٥-٥) غم وهي مستطيلة الشكل أصبحت لها قيمة عالية في عهد الشاه صفي^(٥٠)، كما عُرف الدينار والذي كان يُبدل كلَّ عام، إذ كانت كلُّ مدينة تُبدل النقش الموجود فوق عملة الدينار، وكلَّ خمس وعشرين ديناراً كان يساوي ثمن عباسي، والذي اشتهر أيضاً باسم (بيستی) ويصبح نصف شاهي، أمَّا عملة الشاهي فهي تساوي خمسين ديناراً أو اثنين بيستی أو أربعة عباسي، أمَّا اثنين شاهي أو مائة دينار فقد كانت عملة مشهورة بـ(نصف عباسي) وكانت عملة العباسي من الفضة الخالصة وتساوي أربعة شاهي أو مائتي دينار^(٥١).

عرف العهد الصفوي المتأخر عَقِب الشاه عباس الأول العديد من العملات، إذ كان الشاه صفي كأجداده يلاحظ في كلِّ عملاته شعاراتٍ مثل: (هست ازجان غلام شاه صفي) أي: روح الشاه صفي خادم أهل البيت، و (تبد شاه ولاية صفي) أي أن الشاه صفي عبد سلطان الولاية، وهناك عملات تُنقش عليها رموز تكون عبارة عن علامات تُسكُّ على العملة من أجل السيطرة عليها، وقد راجت في عهد الشاه صفي النقود

الذهبية والفضية والمعدنية، كما احتوت عملات الشاه عباس الثاني شعارات وأسماء الأئمة باللغة العربية، مثل: (اللهم صلَّ على النَّبي والوصي والبتول والسبطين.. إلى آخر الأئمة) (عليهم السلام)، وُضربت عملات الشاه عباس الثاني النقدية الذهبية في دور ضرب النقود في أردبيل وأصفهان، وأغلبها الذهبية التي تساوي (٢٠٥) اشرفي و (١٠٠٠) دينار، والفضية مثل البيستی وتساوي (٢٠) ديناراً، و (١) شاهي يساوي (٥٠) ديناراً، ومحمّدي يساوي (١٠٠) دينار، وكانت العملة في عهد الشاه سليمان كسابتها من العهود مُزينة بالشعارات الدينية وأسماء الأئمة الاثني عشر، إلّا أنّه من النادر ما تجد في عهده عملة بوزنها الصحيح، لذا أصدر الأوامر لإعادة ضرب النقود بأوزانها المعروفة، أمَّا دور ضرب العملات فكانت تضرب في عهده بمدن إيران، تبريز، قفليس، أمَّا العملات في عهد الشاه سلطان حسين فكانت تشبه مثيلاتها في عهود الشاهات السابقين من ناحية أسماء الأئمة وألقاب الشاه والشعارات المذهبية، وأكثر العملات المتداولة كانت (المحمودي وحويزة)، وتفاوتت العملات الذهبية في عهده مع العملات الفضية، وذلك بسبب عدم مراعاة دور الضرب في الولايات الصفوية للمواصفات والمقاييس الموجودة في الضرب، فضلاً عن ضعف الحكومة المركزية، كما ظهرت في عهده الكثير من العملات المزيفة التي كانت تُغطّي الأسواق، إذ أمر الشاه سلطان حسين بإعادة ضرب النقود الذهبية اضطراراً، وذلك بعد تزايد ضغط الأفغان على الدولة الصفوية، كما أراد أن يؤمّن مصاريف الدفاع ورواتب قوات جيشه من أجل الصمود أمام تهديدات الأفغان، لذا أمر الشاه سلطان حسين بضرب عملة الأشرفي الذهبية

عام ١٧١٧ م. ومما تجدر الإشارة إليه أن عهد الشاه صفي والشاه عباس الثاني وحتى عهد الشاه سليمان كانت العملات الذهبية تُضرب من أجل تقديمها هدايا في احتفالات عيد النوروز^(٥٢).

وعلى صعيد آخر، كانت النقود تُسك في مؤسسات حكومية يُطلق عليها اسم (ضرب خانة) أي دار الضرب، ويرأس الوحدة منها موظف يُسمّى (ضرابي باشي) أي رئيس الضرابين، وكان يعمل تحت نظر (معير المالك) وهو المسؤول عن صحة ووزن المسكوكات، ومنصب معير المالك من المناصب القديمة إذ إن من يتولّى هذا المنصب يكون من أصحاب الخبرة والاطلاع في شؤون الذهب والفضة والعملات النقدية وأوزانها وعتار المعدن ومعرفة العملات المغشوشة، فضلاً عن السيطرة على أعمال الضراب خانة، كذلك فهو المُشرف العام على طبع العملات النقدية بموازين ثابتة معروفة دون زيادة أو نقصان، لذا فإن صاحب هذا المنصب يتمتع بالاحترام والاعتبار لدى أمراء الدولة، إذ كان الشاه وأمراء الدولة الصفوية يحولون جميع الأمور المتعلقة بالمسائل النقدية ومعرفة المجوهرات إلى معير المالك، كما أُسندت إليه مهمة تعيين الضرابين والمُشرفين والمُعيرين والسبّاكين وكل العاملين في الضراب خانة، فضلاً عن أن جميع عمليات سك النقود التي تجري في الضراب خانة هي عمليات يدوية وليست ميكانيكية أو شبه ميكانيكية^(٥٣)، ومن المهم الإشارة إلى أن الحكومة الصفوية كانت تُغيّر العملات المعدنية كل عام في عيد تتويج الشاه، وكانت تحمل علامات مميزة فالعملات المعدنية في أصفهان كانت تحمل صورة الأسد، وفي كاشان صورة الديك، وفي جيلان صورة السمكة

وهكذا، وكانت تفقد قيمتها كلّما مرّ عليها عام بعد عام، وصارت تُستخدم في المناطق المجاورة لدور الضرب، إلّا أنها ملغية في عموم المدن الصفوية التي أصبحت تستخدم المحمودي في تعاملاتها التجارية باستثناء الحويزة^(٥٤).

الضرائب

قُدرت نسبة الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية ما يقارب (٦/١) كومة (بيدر) على الحنطة والشعير، ومبلغ ستة وستون شاهي على مساحة معينة من الأرض الزراعية والمراعي والحقول، أمّا المساكن المؤجّرة وغيرها فيؤخذ منها مبلغ بنسبة (٥٪) من مبلغ الإيجار، أمّا الضرائب المفروضة على المناطق التي يسكنها النصارى وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى، فإن المبلغ قد يُضاعف عليهم ليصل إلى (٧-٨) دوكات، لذا عاش الفلاحون في أوضاع اقتصادية سيئة، فلم تكن مواردهم تكفي لسدّ قوتهم، إذ عانوا من النظام الإقطاعي الذي شكّل أساساً للدولة الصفوية كونه يقوم بدعم رؤساء القبائل والإقطاعيين، ويسحق الفلاح ويجعله الحلقة الأضعف في النظام السياسي - الاقتصادي، وعلى سبيل المثال حاول الشاه سليمان منح رجال المؤسسة الدينية أراضي خاصة بهم لكسبهم وعدم معارضة حكمهم، لذا حولوا أراضيهم إلى أوقافٍ معفية من الضرائب التي كانت تُفرض على غيرها من الأراضي ممّا أثقل كاهل الطبقات الدنيا، كما شهد عهد الشاه سلطان حسين ازدياد حجم الضرائب المفروضة على السكّان، فقد ارتفعت نسبة الضرائب المفروضة على القرى بمقدار يتراوح ما بين مرتين إلى ثلاث مرات، ولم تنج من الضرائب الجديدة حتّى العشائر المتنقلة التي كانت لا تخضع للضرائب الحكومية من قبل مطلقاً^(٥٥).

المؤدّي مالاً حاضراً، فإنّه يدفع عن كلّ أسبوع تأخير نصف بالمائة من المبلغ المفروض^(٥٩)، في حين انتظمت الرسوم الكمركية في سلسلة من الضرائب عُرفت باسم (رسم) كان من بينها الرسم المدفوع لحارس بوابة المدينة وسُمّي به (رسم البوابة)، وحراس بوابة المدينة هم معاونين للدراوغة: والذي يُعد رئيساً للتأمينات وفي حدود معينة كان له حقّ القضاء ويعمل تحت إمرة (الديوان بيكي) وتمتع براتب جيد تراوح بين (٣٠٠-٥٠٠) تومان، وعلى هذا فإنّ للدراوغة معاونين كانوا يُسمّون به (الأحداس)، وعلى ما يبدو أنّ اللفظ الصحيح لكلمة الأحداس هو (الأحداث)؛ لأنّ الكتاب الصفيوين لا يلفظون حرف (ث) وإنّما يقبلونه إلى حرف (س)، وكان للأحداث عدّة أسماء، مثل: عسس باشي، سلطان الليل، دزدكير (أي: ماسك اللصوص)، تبكيرد (أي: الحارس الليلي وحارس بوابة المدينة)، أمّا (شاردن) فيُسمّيه (حكّام الليل - الحارس)^(٦٠).

العائدات والأملاك

بعد أن استطاع شاهات الدولة الصفوية أن يكونوا قوةً عسكريةً مدرّبةً ومستقلة عن القبائل، لجأوا إلى الأراضي فوزعوها تيولاً وهدايا، أو مرتبات للقادة والجُنْد، أو الاعتماد على عائدات الأراضي لتوزيعها كمُرتباتٍ لهم، لذا تمكّن الشاهات من التدخل في شؤون الممالك، والتي صارت نظرياً تحت سيطرة الشاه، على الرغم من وجود أراضي يمتلكها الأهالي بمُستندات رسمية، ليس للدولة حقّ عليها سوى الضريبة، إلّا أنّ للشاه الحق في تحويل الأراضي إلى ملكيته عن طريق المُصادرة كلّما أراد، إذ إنّ الأراضي في الدولة الصفوية قُسمت على أربعة أقسام، شَمِل

كما فُرضت الضرائب على الحيوانات إذ كان صاحب القطيع يدفع مبلغ خمسة عشر من فئة العشرين ديناراً سنوياً، أي ما يُعادل ثلاث دوكات عن كلّ (٤٠) رأس من الأغنام، أمّا الأبقار فإنّ مالِكها يدفع مبلغ عشرة من فئة العشرين ديناراً أي (٢) دوكات سنوياً^(٥٦)، ومن المعلوم أنّ البلاد تكثُر فيها القطعان والماشية؛ لذا فإنّ سُبع ما تنتجُه من الصوف وسُبع ما تلد من الأغنام يأخذها الشاه مُلكاً له، فضلاً عن الجمال والماعز التي تُوفّر اللحوم والألبان، وكان لجلودها وأوبارها أهمية بالغة في الصناعات النسيجية^(٥٧). إلى جانب هذه الضرائب والموارد المالية هناك ما يُجبى بوسائل مختلفة، إذ هناك ستة مصادر من الضرائب استحصلتها الدولة الصفوية من الأهالي، منها الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية والمساكن وقطعان الماشية، والضرائب المفروضة على الأراضي التي يتم استئجارها من قبل الأهالي، والضرائب المفروضة على الأحجار الكريمة والمعادن من الذهب والفضّة وصيد الأسماك من الأنهار والبحار، والضرائب المفروضة على سكّ النقود، فضلاً عن الجزية المفروضة على غير المسلمين أي الأقليات من النصاري واليهود والزرادشت والهنود (السيخ والهندوس)، وفيما يتعلّق بالضرائب المفروضة على عمليات البيع والشراء فقد كانت مجحفَةً بحقّهم، إذ إنّها لم تكن ثابتة وإنّما تتغير حسب ظروف البلاد السياسية والاقتصادية، فمثلاً بلغت ضرائب محلّة (جلفا)^(٥٨)، في عهد الشاه عباس الأول تسعة آلاف فرنك فرنسي، إلّا أنّها أصبحت في عهد خليفته الشاه صفي ثلاثة عشر ألف فرنك.

أمّا عن طريقة جباية الضرائب فإنّها تُحصّل عن طريق الشرطة والجُباة، وإذا لم يكن لدى

القسم الأول: أملاك الشاه والتي أشرف عليها، وكانت توزع في عموم الولايات، وتعود عائداتها إلى الخزانة الشاهنشاهية، إذ قام الشاه بإهداء أملاكٍ خاصة (سيورغال) لأشخاصٍ معينين، فقد أهدى الشاه صفني إلى السيد ميران يزدي بن نعمة الله الذي تصاهر مع الأسرة الصفوية، وسيورغال كانت تدّر عليه أرباحاً سنوية بلغت خمسة آلاف تومان، فيما تمّ تأجير أراضٍ أخرى من الشاه لمزارعين ولأشخاصٍ معينين، مقابل ثلث ما تنتجه سنوياً، أمّا القسم الثاني: فهي الأراضي الخاضعة لإشراف حكام الولايات وكانت عائدة للدولة في الولايات وضعت تحت إشراف الحكام المحليين، وصُرفت عائداتها على موظفي الدولة المحلية وجنودها، وكانت تُسمّى بد (أرض الممالك)^(٦١)، وبتوليّ الشاه صفني الحكم عام ١٦٢٩م عرض الوزير الأعظم مقترحاً بسحب جميع الأراضي من الولاة، وتحويلها إلى ملكية البلاط، بسبب عدم الحاجة إلى الجيش وعدم خوض الحروب، من أجل مضاعفة موارد الشاه لتبلغ مائة وخمسين ألف تومان سنوياً، وشمل القسم الثالث: أراضي الأوقاف المُسخّرة للأموال الخيرية، ورعاية العتبات المقدسة وإعمارها، فضلاً عن الأملاك الديوانية (سيورغال) والتي تعني الإنعام والهبة، وكانت تُهدى لكبار رجال الدولة والتصوف والدين للالتفاف بها وعادة ما يُديرها رجال الدين، وتضمّن القسم الرابع: الأراضي المملوكة ملكاً مطلقاً للأهالي وُسّمت بد (التيول)، إذ أصبح بإمكان الشاه أن يؤمّن على رواتب القوات المسلّحة والحصول على المؤن والأعلاف لقواته، ومن يحصل عليها يُسمّى (تيول دار)^(٦٢).

وفيما يتعلّق بالعائدات، فلم يُعرف بالضبط

مقدار مالية الشاه الصفوي إذ عدّ ذلك من الأسرار، وكانت عائدات الدولة تأتي بالدرجة الأولى من المحاصيل الزراعية بنسبة السدس من محصول الأراضي، و (٥٪) من أموال الإيجارات والخراج للمُسلمين، ومن الرسوم المفروضة على محطّات الاستراحة في الطرقات، وبلغت عائدات الدولة في العام الواحد من (٦٤٠٠٠٠ - ٧٠٠٠٠٠) تومان، أمّا العائدات المُستحصلة من بيع الأدوات المتداولة في أواخر العهد الصفوي فلم تكن ذات نسبٍ كبيرة مقارنةً مع العهود الأخرى، وعلى سبيل المثال: إنّ عوائد خزانة السلطنة من بيع التبغ حسب قول (شاردن) قد بلغت في عهد الشاه عباس الثاني قرابة عشرين ألف تومان، وطبقاً لأقوال القس المسيحي (سانسون) كانت في عهد سلطنة الشاه سليمان بحدود خمسة وخمسين ألف تومان^(٦٣)، وبلغت الواردات السنوية في عهد الشاه عباس الثاني والشاه سليمان الصفوي حوالي سبعمائة ألف تومان، ومن أشهر عوائد الخزانة الملكية المهمة في تلك المدّة الواردات التالية^(٦٤):

- من أراضي ديوان الممالك، أو الولايات التي لم تكن جزءاً من أملاك السلطنة الخاصة بحدود (٢,٠٠٠,٠٠٠) ليور.
- من الأراضي الخاصة، أي أملاك الشاه بحدود (٣,٨٥٠,٠٠٠) ليور.
- ضرائب التبغ والتتن وغيرها بحدود (٦,٠٠٠,٠٠٠) ليور.
- ضرائب الحراسة والكمارك وغيرها بحدود (٦,٠٠٠,٠٠٠) ليور.
- الهدايا والهبات بحدود (٦,٠٠٠,٠٠٠) ليور.

الخاتمة

شَهِدَ العهد الصفوي المتأخر وتحديدًا خلال المدة (١٦٢٩-١٧٢٢م) تدهوراً واضحاً على الصعيد الاقتصادي، بسبب عدم وجود شخصية كفوءة ومقتدرة بمستوى الشاه عباس الأول لتوليّ دفة الحكم الصفوي، إذ لم تشهد الدولة الصفوية في فترة الضعف والانحلال أيّ تطورٍ أو استقرارٍ اقتصادي بالمستوى الذي كانت عليه الدولة الصفوية في عهد الشاه عباس، وظلّ خلفاؤه غارقين في المفاسد واللهو، والانغماس في أعمال المنكر دون الاهتمام بمُقدّرات البلاد الاقتصادية، نتيجةً لذلك سارت الدولة الصفوية في النصف الثاني من عهدها نحو الضعف والانهار والهاوية؛ وكان ذلك بسبب السياسة الدموية التي اتبعها الشاهات، ومنهم الشاه صفي فضلاً عن ظاهرة تحكم الغلمان والنساء بأمور الدولة في نواحيها كافة، وكان ذلك على عهد الشاه عباس الثاني، إلى جانب الشخصية الضعيفة التي امتاز بها الشاه سليمان، والتي وقع إثرها تحت سطوة وتأثير الأمراء والمستشارين وأفراد حاشيته؛ لذا فإنّ تولي الشاه سلطان حسين حكم الدولة الصفوية قد صبّ في مصلحة أمراء وأشراف ورجالات البلاط؛ للإبقاء على امتيازاتهم ومراكزهم الرفيعة التي اكتسبوها في الفترة الماضية من عهد الدولة الصفوية. ونتيجةً لما تقدم انعكست هذه الأمور بمُجملها على الوضع الاقتصادي، إذ تخلّلت القاعدة الاقتصادية الأساسية للصفويين، والمتمثلة بالفلاح الذي مثّل نواة الاقتصاد وأساس بقائه، فلا غرو أن تصبح الدولة الصفوية مهيةً تماماً لغزو الأفغان، والذين كانوا في عهدٍ سابقٍ تحت الحكم الصفوي ذاته، لاسيّاً إذا ما علمنا أن انحلال إدارة الحكم في عهد آخر حكامه الشاه سلطان حسين، قد وفّر أرضيةً خصبةً لهذا الغزو عبّث انحلال الحكم الصفوي من الناحية الاقتصادية.

الهوامش

(Endnotes)

- (١) ولد عباس ميرزا في السابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٥٧١م في مدينة شيراز، وهو أحد أبناء الشاه مُحمّد خدابنده ابن الشاه طهماسب الأول ابن الشاه إسماعيل الأول بن حيدر ابن الشيخ جُنيد بن إبراهيم خواجه علي ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي، وأمه مهد عليا فخر النساء بيكم. تولّى العرش الصفوي وهو لا يزال في الثامنة عشر من عمره، فكان عهد قوّة وحزم وإرادة. توفيّ بمنطقة أشرف في مازندران عام ١٦٢٩م. للمزيد، يُنظر: مريم نزار اكبري، مهربان، شاه عباس كبير، جاب أول، ١٣٨٧هـ، ص ٤١؛ عبد العزيز الجواهري، آثار الشيعة الإمامية، (طهران: ١٣٤٨هـ)، ص ٦٦؛ سلام خسرو جوامير، الشاه عباس الكبير وسياسته الإصلاحية الداخلية في إيران (١٥٧١-١٦٢٩م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠١٢م.
- (٢) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران (١٥٠١-١٧٣٦م)، (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٩م)، ص ١٣٩-١٤٠؛ بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، (بيروت: دار النهضة، ١٩٨٠م)، ص ٧٩-٨٠.
- (٣) حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٥م)، ج ٣، ص ٤٨-٤٩؛ محمد عبد اللطيف البحراري، فتح العثانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر، (القاهرة: ١٩٧٩م)، ص ١١٥.
- (٤) ابتسام سعود كنون، العلاقات البرتغالية الصفوية (١٥٠٠-١٦٢٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٩م، ص ٤٢؛ محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ١٤١.
- (٥) نصر الله فلسفي، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي (١٥٠٠-١٧٣٦م)، ترجمة: محمد فتحي يوسف، (دار الثقافة للطباعة، ١٩٨٩م)، ص ١٧٩.

مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م)، ص ٢٥٥؛
محمد علاء الدين منصور، تاريخ إيران بعد الإسلام
(٨٢٠-١٩٢٥م)، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٩م)،
ص ٦٧٨؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص ١٣.

(١٨) ناظم عبد الله سعيد، مختصر تاريخ ملوك الدولة
الصفوية، (مكتبة صيد الفوائد الإسلامية، ٢٠٠٧م)،
ص ١٠٨؛ حسن كريم الجاف، مرجع سابق، ج ٣،
ص ٥٤.

(١٩) حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران السياسي،
(بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨م)،
ص ٥٤؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢٠) شاهين مكاربوس، تاريخ إيران، (القاهرة: دار الآفاق،
٢٠٠٣م)، ص ١٥٨؛ لوريمر، دليل الخليج، القسم
التاريخي، ص ٦٠.

(٢١) حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، ج ٣،
ص ٥٥؛ حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران
السياسي، ص ٥٥.

(٢٢) علي حسن علي، مرجع سابق، ص ١٦-١٧؛ محمد
المعموري، مرجع سابق، ص ١٩٢.

(٢٣) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة:
نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط ٥، (بيروت: دار
العلم للملايين، ١٩٦٨م)، ص ٥٠٥-٥٠٦؛ ناظم
عبد الله سعيد، مرجع سابق، ص ١١٧؛ علي حسن علي،
مرجع سابق، ص ١٨.

(٢٤) دوسرسو، سقوط الشاه سلطان حسين، ترجمة:
ولي الله شادان، (منشورات كتاب سرا، ١٩٨٥م)،
ص ٤٧.

(٢٥) أحمد كاظم محسن، بلاد فارس في ظل الحكم الافشاري
(١٧٣٦-١٧٤٧م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة،
الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٠٦م، ص ١٧؛
علاء موسى كاظم، العراق في العهد العثماني، (بغداد:
دار الحرية، ١٩٧٩م)، ص ٨٨؛ علي حسن علي، مرجع
سابق، ص ١٨.

(٢٦) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية
الإيرانية.. الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين،
(بيروت: دار النفائس، ١٩٩٩م)، ص ٩٦؛ علي إبراهيم

(٦) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند
البريطانية والإدارة في الخليج العربي، (الرياض:
١٩٨١م)، ص ٧٥؛ عبد العزيز عوض، دراسات
في تاريخ الخليج العربي الحديث، (بيروت: دار
الجيل، ١٩٩١م)، ج ٢، ص ١٧٤-١٧٦.

(٧) سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٨) حسن كريم الجاف، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٨؛
محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٩) سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص ١٥٤؛
محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ١٤٢-
١٤٣.

(١٠) بديع محمد جمعة، مرجع سابق، ص ٨٧؛ سلام
خسرو جوامير، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(١١) عملة نقدية فضية مغولية ومعناها الضاربة إلى
البياض، ووزنها يساوي أربعة غرامات فضية.
يُنظر: عباس العزاوي، العراق بين احتلالين،
(بغداد: ١٩٤٩م)، ج ٤، ص ١٤٤.

(١٢) مشعل مفرح ظاهر، سياسة إيران الخارجية في
عهد الشاه عباس الكبير، رسالة ماجستير غير
منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٠م،
ص ٢٨.

(١٣) جون ليمبرت، إيران.. حرب مع التاريخ، ترجمة:
حسين عبد الزهرة، (البصرة: ١٩٩٢م)، ص ٩٧؛
سليم واكيم، إيران والعرب، (بيروت: ١٩٦٧م)،
ص ١٥٧-١٥٨.

(١٤) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ١٤٥؛
سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(١٥) محمد المعموري، الأسرة الصفوية.. شيوخها وملوكها
(الصفوية التاريخ والصراع والرواسب)، ط ٢، (دبي:
مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠١١م)،
ص ١٩٠-١٩١.

(١٦) علي حسن علي، تطورات إيران الداخلية في ظل
الاحتلال الأفغاني (١٧٢٢-١٧٢٩م)، رسالة ماجستير
غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠٠٦م،
ص ١٢.

(١٧) محمد وصفي أبو مغلي، إيران.. دراسة عامة، (البصرة:

درويش، السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية (١٥٠١-١٥٧٦م)، (بيروت: المركز العربي للأبحاث، ٢٠١٣م)، ص ٢٣٧.

(٢٧) إياد عبد الرحمن شيحان، التنظيمات الإدارية والمالية في الدولة الصفوية (١٥٠١-١٧٢٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٢م، ص ١٣٦.

(٢٨) أ. ج. أربري، الحدائق الفارسية (تراث فارس)، ترجمة: محمد كفاي ويعقوب بكر وآخرون، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م)، ص ٣٥٨.

(29) Peter Jackson and Laurence Lockhart, *the Cambridge History of Iran, (the Timurid and Safavid periods)*, Vol: 6, Edition 5, Cambridge University Press, London, 2006, p.493;

إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص ١٣٦.

(٣٠) عاصم حاكم عباس، الإرساليات المسيحية في إيران خلال العهد القاجاري (١٧٩٦-١٩٢٥م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠٠٨م، ص ١١-١٢؛ علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص ٢٣٨؛ عباس إسماعيل صباغ، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٣١) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص ١٣٧؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٣٢) علي أكبر ولايتي، موسوعة الإسلام وإيران.. ديناميكية الثقافة وحيوية الحضارة، ترجمة: عبد الرحمن العلوي، (بيروت: دار المهادي، ٢٠٠٧م)، ج ٣، ص ٤٠٨.

(٣٣) م. س. ديباند، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، (مصر: دار المعارف، د.ت.)، ص ٢٦٤.

(٣٤) حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشعبية، ط ٦، (دار المعارف للطبوعات، ٢٠٠٢م)، مج ١٤، ص ٥٥٦؛ علي أكبر ولايتي، مرجع سابق، ص ٤١٠.

(٣٥) صادق نشأت، مصطفى حجازي، صفحات عن إيران.. عرض موجز لإيران في ماضيها وحاضرها من النواحي التاريخية والثقافية والاجتماعية، (مطبعة نجيم،

١٩٦٠م)، ص ١١٠-١١١.

(٣٦) علي أكبر ولايتي، مرجع سابق، ص ٤١٠.

(٣٧) الميرزا سميعة، تذكرة الملوك، به كوشش: سيد محمد دبير سياقي، (تهران: مؤسسه انتشارات أمير كبير، ١٣٧٨ هـ.ش./ ٢٠٠٠م)، ص ٤٧؛ علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٣٨) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص ١٤.

(٣٩) نصر الله فلسفي، مرجع سابق، ص ١٩٠-١٩١؛ علي أكبر ولايتي، مرجع سابق، ص ٤١٢-٤١٣.

(٤٠) علي حسن علي، مرجع سابق، ص ٢٣. للمزيد عن طرق التجارة في العهد الصفوي، يُنظر: محمد جواد عبد الكاظم، بلاد فارس في عهد الشاه طهماسب الأول (١٥٢٤-١٥٧٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، ٢٠١٤م، ص ٢٠٢-٢٠٤؛ محمد عبد الرزاق العوفي، الصّراع الصفوي - العثماني، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٨م)، ص ٩١-٩٤.

(٤١) باتريشيا بيكر، المنسوجات الإسلامية، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١١م)، ص ٢١٧؛ إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص ١٤٦؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٤٢) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص ١٤٧. للمزيد عن العلاقات الصفوية الهولندية، يُنظر: نصر الله فلسفي، مرجع سابق، ص ٢٠٥-٢٢٧.

(٤٣) هيفاء عبد العزيز الربيعي، غزاة في الخليج، (الموصل: ١٩٨٩م)، ص ٨٢؛ نصر الله فلسفي، مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٤٤) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٤٥) أحمد تاجبخش، إيران در زمان صفوية، (جهر، تبريز: انتشارات كتا بفروش ١٣٤٠ هـ.ش.)، ص ٨٠-٨١؛ محمد جواد عبد الكاظم، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٤٦) طالب محبيس حسن، إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول (١٥٠١-١٥٢٤م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٧م، ص ١٤١-١٤٢؛ سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص ١٣٦.

- (٤٧) ريتشارد بلانت، النقود العربية الإسلامية، ترجمة: بسّام سروج وإبراهيم سروج، (١٩٩٤م)، ص ١٢٦؛ علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص ٢٥٢؛ إياد عبد الرحمن شيخان، مرجع سابق، ص ١٥٧.
- (٤٨) علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص ٢٥٣.
- (٤٩) جون شاردن، رحلات في بلاد فارس (١٦٧٣-١٦٧٧م)، ترجمة: صلاح صلاح، (دار السويدية، مركز القائمية بأصفهان للتحريات الكمبيوترية، ٢٠٠٥م)، ج ٢، ص ١٩٤.
- (٥٠) علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص ٢٤٩-٢٥٠؛ إياد عبد الرحمن شيخان، مرجع سابق، ص ١٥٨.
- (٥١) أبو القاسم طاهري، تاريخ سياسي واجتماعي إيران ازمرك تيمور تامرك شاه عباس أول، (تهران: ١٣٤٩ هـ.ش)، ص ٤٠٤.
- (٥٢) علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص ٢٥١؛ إياد عبد الرحمن شيخان، مرجع سابق، ص ١٦٣-١٦٤.
- ٥٣ (٥٣) الميرزا سميعا، مرجع سابق، ص ٢١؛ عباس إسماعيل صباغ، مرجع سابق، ص ٢٢٨.
- (٥٤) إياد عبد الرحمن شيخان، مرجع سابق، ص ١٦٠.
- (٥٥) إياد عبد الرحمن شيخان، أثر تدهور الإدارة في سقوط الدولة الصفوية، جامعة واسط، كلية التربية، العدد (٧)، ٢٠١٢م، ص ١٥١؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص ٢٨-٣٠.
- (٥٦) إياد عبد الرحمن شيخان، التنظيمات الإدارية والمالية، ص ١٥٢.
- (٥٧) حسن الأمين، مرجع سابق، مج ١٤، ص ٥٤٢؛ عباس إسماعيل صباغ، مرجع سابق، ص ٩٦.
- (٥٨) محلة جديدة أنشأها الشاه عباس الأول قرب أصفهان، سكن بها الأرمن من المسيحيين لاسيما التجار منهم. يُنظر: مشعل مفرح ظاهر، مرجع سابق، ص ٢٧؛ جون شاردن، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٨.
- (٥٩) حسن الأمين، مرجع سابق، مج ١٤، ص ٥٥٨-٥٦٠.
- (٦٠) منيورسكي، سازمان إداري حكومت صفوي، ترجمة: مسعودينا، (تهران: ١٣٣٤ هـ.ش/ ١٩٥٦م)، ص ١٥٢-١٥٤؛ علي إبراهيم درويش، مرجع سابق،
- ص ٢٣٢.
- (٦١) عاصم حاكم عباس، مرجع سابق، ص ١٥.
- (٦٢) إياد عبد الرحمن شيخان، التنظيمات الإدارية والمالية، ص ١٣٢، ص ١٣٥.
- (٦٣) أبو القاسم طاهري، بيشتن، ص ٤٠٣.
- (٦٤) شاردن، سفرنامه شاردن، ترجمت: إقبال يغالي، (تهران: ١٣٧٣ هـ.ش/ ١٩٩٥م)، ج ٤، ص ١١٩٧.

GVLISTAN O V L'EMPIRE DES ROSES

*Composé par SADI, Prince des Poètes Turcs
& Persans.*

Traduit en François par ANDRE' DV RYER,
sieur de Malezair, Gentil-homme ordinaire de la
Chambre du Roy, Cheualier de l'Ordre du S. Spul-
chire de Ierusalem cy-deuant Consul pour sa Majesté,
& ses nations en Alexandrie, au grand Caire, & Royau-
me d'Egypte.



A PARIS

Chez ANTHOINE DE SOMMAVILLE, en la petite
Salle du Palais, à l'Escu de France.

M. DC. XXXIV.

AVEC PRIVILEGE DV ROY

Stephanus Baluzius Tutelensis.

Frontispiece of André du Ryer's translation

SCHACH ABAS PERSARVM REX.



*Masagete Cyro nocuere, Scythæque Darío:
Turca tibi nocuit, sed Scythæ cessit, ABAS.*

O Derat ut Smerdin Cambyfes, Mnemona Cyrus;
Sic Hamefes frater nec tibi charus erat:
Auctor laudato factis ingentibus illi;
Dicere, si vera est fama, fuisse necis.
Non satis in Turcas qui te patremq, fouebat
Mars, dare Baëtra tibi terga coëgit, ABAS.
O o

ALHIE-

Shah Abbas I engraving by: Dominicus Custos-Antwerp, artist printer and engraver



Georgian manuscript of Shahnameh written in the Georgian script





Bahram Gur and Courtiers Entertained by Barbad the Musician
(from a manuscript in the Brooklyn Museum)



Shahnameh (Book of Kings) Abu'l Qasim Firdausi (935–1020)



Saadi in a Rose garden, from a Mughal manuscript of his work *Gulistan*, c. 1645.
Saadi is on the right



Gulistan Saadi (Calligraphy of Golestan Saadi in Nastaliq script)





Shah Abbas I and his court





Canvas by Carlo and Gabriele Caliari in the Doge's Palace in Venice depicting doge Marino Grimani receiving the Persian ambassadors, 1603

Economy Status in the Late Safavid Era (1629-1722)

Dr. Bushra Ibrahim Salman

AL-Rasheed University / Baghdad

Abstract:

Shah Abbas the great successfully achieved a wide economic revolution based on the commercial openness on the west and east counties. This made Persia's gates open to world merchants and Europe Companies. In addition to the prosperity of ports, which encouraged foreign commercial companies to establish a role for trade while granting Safavid privileges, providing guarantees and facilitating ways to reside within the borders of the Safavid state, as well as a clear interest in the field of agricultural and industrial activity, especially what the Safavids knew of making a qualitative leap in the field of firearms industry Which was at the forefront of the Safavid industries, especially during the days of Shah Abbas However, the economic revolution which Shah Abbas the great sought to achieve did not last long, especially as we know that successor shahs were weak in terms of police and Administration.

This reflected in the deterioration of the general status and rapid fall of the economy status, in its various aspects, which paved the way to end the Safavid Era and the Afghan took the ruling of the Safavid Sate easily and successfully Especially since the period in question (1629-1722) witnessed the assumption of the rule of the Safavid state by four Safavid shahs after Shah Abbas the First who did not record successes commensurate with the prestige of the Safavid state, especially if we know that the Safavid era and from its inception was considered a stage for the development and renewal process to build an economic state So, it is not surprising that the economic conditions are disturbed and weakness and dissolution in the joints of the Safavid state becomes subject to the Afghan invasion since 1722 AD.